تحقيب التاريخ
بين العالمية والعولمة

أ. إسماعيل سامعي
جامعة الأمير عبد القادر

إن تطور دراسة التاريخ، وتطور مناهجه يرتبط أساسا بمستوى حضارة كل أمة حيث أن الأمة المتطورة لا تفرض هيمنتها على الأمم الأخرى سياسيا واقتصاديا فحسب بل وهيمنتها الثقافية ذلك أن الأمم العظمى قادرة دائما على تصدير الأفكار كما هي قادرة على تصدير البضائع، وأنها واثقة من أن تصديرها للأفكار يكون بصورة مجردة؛ وضمن كل بضاعة ومادة، وبالتالي فتأثيرها يكون مباشرا، ويمس كل الشرائح الاجتماعية، في حين لا تمس صادرات الدول الضعيفة إلا القلة من أفراد المجتمع، ولذلك فالتاريخ الثقافي بالنسبة للأقوى يصبح مهما جدا حيث تجعل الدول أو الشعوب صيرورة تطور تاريخها مقياسا لتطور تاريخ الأمم الأخرى خاصة الضعيفة منها فتكيف تطورها كما تكيف سياستها واقتصادها، وتجعل العالم عالمها.

ورغم أن هذا المعيار غير ثابت بنص الوحي الإلهي: "**وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين**"[1]، وبتطور الأمم وحضارتها فاليونانيون، والرومانيون، والعرب المسلمون، والأوربيون، جعل كل منهم العالم عالمه وهو مركزه، وغيره هوامش ولواحق، فاليونانيون والرومانيون جعلوا من أثينا ثم روما مركز العالم، كما جعل العرب المسلمون بغداد كذلك، وفي العصر الحديث أوربا الغربية، وفي عصرنا شمال القارة الأمريكية وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية.

1- سورة آل عمران، 140.

ومنذ قيام الدولة العربية الإسلامية أخذت معالم كرتنا الأرضية تتضح إلى أن توجته تلك الاكتشافات الجغرافية، وأسهمت في تقريب جهاتها المواصلات والاتصالات الحديثة، وما نتج عن ذلك من سرعة للتبادل في البضائع والمعلومات، ومن هنا فإن هذه الأمم حاولت وتحاول عالمية وعولمة السياسة والاقتصاد والفكر والثقافة بجعل نموذجها المهيمن في هذه المجالات وغيرها.

وأكثر ما اهتمت به هذه الأمم ومازالت التاريخ فوجهته وجهتها، وصنفت فيه الموسوعات العالمية وفق مناهج خاصة أبرزها تقسيمه إلى عصور أو حقب وفق تطورها أو تطور العالم بحسب منظورها، وإذا كان الظاهر فيه هو التقسيم للتاريخ لفهم مراحل تطوره، وإدراك حركيته المتصلة بالمجتمع، فإنه في الوقت نفسه يهدف إلى تحقيق غايات على درجة كبيرة من الأهمية وهي:

أولا: كل تقسيم يهدف إلى الارتقاء بالتاريخ إلى العالمية التي تجلت مظاهرها في "العرقي" أو "الكوني" أو "الثقافي".

ثانيا: هيمنة تاريخ تلك الأمة على كل أحداث العالم وجعلها تسير في مجال تاريخها.

ثالثا: جعل كل أحداث الماضي على اختلافها واختلاف مناطقها الجغرافية، وعناصرها السكانية عبارة عن روافد تنتهي في تاريخ تلك الأمة، إنها نهاية التاريخ وفق نظرية فوكي ياما[1].

وفي هذه الدراسة اخترت ثلاثة نماذج لتقسم التاريخ أو تحقيبه كانت قد بلورت حقا العالمية والعولمة[2]، والنماذج هي: النموذج العربي الإسلامي المبني على أساس وحدة الكون

1- فوكي ياما، ياباني متأمرك كتب هذه الدراسة "نهاية التاريخ" ليقول أن مسار التاريخ البشري انتهى في النظام الديمقراطي الأمريكي أو الغربي الذي لابد أن يسود العالم، إنه يعبر عن العولمة، وهي دراسة عقبتها دراسات أخرى ذهب أصحابها إلى القول بنظرية صدام الحضارات، ودراسة فوكي ياما مترجمة وللمزيد من المعلومات يحسن الرجوع إليها.

2- فيما توضيح مفهوم العولمة يحسن الرجوع إلى الدراسات الكثيرة التي تناولته بالتفصيل نذكر منها على سبيل المثال، العدد الخاص بالعولمة في مجلة "عالم الفكر"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـــ بدولة

الذي يوضحه الخطاب القرآني (يا أيها الناس) التي وردت في القرآن، عشرين (20) مـــرة، و(رب العالمين) واحد وستين(61) مرة، والنموذج الأوربي المستند إلى التطور العرق الأوربي، والنموذج الأمريكي الذي أساسه التفاعل الثقافي، وعرضنا لهذه النماذج ضمـــن جـداول ستيسر الولوج في فهم أعماق الموضوع وتزيده إيضاحا.

إن تحقيب التاريخ عند المسلمين لم يكن اكتشاف صدفة، ولا اجتهاد بشر بل هـو أولا توجيه من الله الذي جعل الرسالة المحمدية خاتمة لرسالات خاصة بمجتمعات محددة، وفاصلة بين عهد الجزئيات، وعهد الشمولية، ورسالة للبشر كافة، ومن ثم فتقسيم التـاريخ عند العرب والمسلمين جاء في هذا السياق، والنموذج الآتي يلقي الضوء على ذلك:

تحقيب التاريخ عند العرب المسلمين بالاعتماد على الطبري وابن خلدون[1]

التحقيب	الزمن	العصور	تحديد الفترات	الخصائص
ما قبل الإسلام	01هـ/622 م	الزمان	-	الزمـن مسـألة غيبية/الدهر هـو أنـا -حديث شريف-
		خلق الكون	فترة خلق الكون	
		الأنبياء والرسل	من آدم إلى محمد عليهم السلام	النبوات والرسـالات السماوية رسالة واحدة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم
		الإمبراطوريات والممالك والدول	بابل،مصر،الفرس، الصين،الرومان، البيزنطيون	تنصب النظـرة على تدهـور هـذه الإمبراطوريـات والممالك والدول

الكويت، م 82، العدد 02، عام 1999، وفخ العولمة، لهانس ـ بيتر مارتين، وهارالد شـومان، ترجمة عدنان رمزي زكي، إصدار نفس المجلس الكويتي238،عام 1998.

1-يمكن الرجوع إلى مقدمة الطبري لكتابه "تاريخ الأمم والملوك" ط، عز الديـن 1985،1/6/7، الـذي بلور منهجه في كتابه، وتقسيمه للتاريخ، وفي ص،8، وبعنوان: "القول في الزمان ما هو" ثم يعرض العصور التاريخية كما هي موضحة في الجدول، أما ابن خلدون فإنه بعد أن يتحدث عن الزمان في المقدمة، يتحدث في مقدمة كتابه العبر ج،2، دار الكتاب اللبناني، 1977،3/2، عن الخلق ثم إلى ما أتى إليه الطبري مع بعض الفوارق.

الإسلام	+01 هـ/622 م	عصر النبي –ص–	–دولة النبي –ص– –الدولة الراشدة	–من البعثة إلى الوفاة –النموذج
		–عصر الخلفاء الراشدين –عصر الأمويين	–الفتوح / التوسع	–التأسيس للعالمية
		عصر العباسيين	–العالمية	–مظاهر العالمية
		عصر العثمانيين	– الدفاع	توقف التطور الحضاري /التدهور
		عصر النهضة	النهوض الحديث	مواجهة هيمنة الآخر

الاستنتاجات: يستنتج من هذا التقسيم المعتمد أساسا على منهجي الطبري وابن خلدون ما يأتي:

ـــ يعد الطبري ـــ أبو التاريخ العربي الإسلامي ـــ هو رأس الاتجاه العربي الإسلامي في تحقيب التاريخ من حيث المنهج الاستقرائي الشامل الذي اعتمده، وأكمله اليعقوبي، والبلاذري، والواقدي، وابن سعد واتبعه بعده المسعودي، وابن مسكويه، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن الفداء، والذهبي، وابن خلدون.

ب ـــ عصر (الجاهلية) في التحقيب مفهوم يحتمل عدة تفسيرات منها ما يخص الانحطاط الذي وصلته البشرية قبل البعثة المحمدية، وقد يقتصر على جاهلية العرب وسفاهة بعض أعمالهم في المجالات العقدية، والاجتماعية.

ج ـــ لقد جاء القرآن بنظرة عالمية إلى تاريخ البشرية تتمثل في توالي النبوات والرسالات التي تجمعها وحدة الاعتقاد، ووحدة الكون ومصيره، وقد ميزت هذه النظرة مرحلتين كبيرتين: مرحلة ما قبل الإسلام،وتمتد إلى بداية الكون نفسه ثم الخلق، وتستمر حتى بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والتي كانت منتهى لكل روافد أحداث العالم فهي الجامعة والنهاية، ومرحلة ما بعده، وهي التي ترتقي فيها البشرية إلى الوحدة الشاملة فتبلور التعبد لله الواحد ـــ التوحيد ـــ، وأن البشر كلهم اخوة ـــ عيال الله ـــ.

أما التحقيب عند الأوربيين الذي ظهر وتطور مع بداية عصر النهضة في أوربا، وبعد ما اضمحلت سيطرة الكنيسة، وتهاوت تعاليمها فإنه جاء ليعبر عن مسار تاريخي واجتماعي خاص بهم، وعن رؤية متميزة لمستقبلهم الحضاري، وقد تضافرت عوامل عدة لتجعل منه هو التحقيب الغالب في العالم منها على الخصوص العاملين الهامين التقدم الحضاري، والسيطرة الاستعمارية؛ ومن ثم فكل المنظومات الفكرية والمناهج العلمية، والمقررات الدراسية طبعت بهذا لطابع، وورث العالم المتخلف منه عالمنا العربي والإسلامي، وبلدنا الجزائر هذه المنظومات والمناهج، والنموذج الأتي يوضح التحقيب عند الأوروبيين:

تحقيب التاريخ عند الأوروبيين[1]

التحقيب	الزمن	العصور	الفترات	الخصائص
ما قبل التاريخ	-3000 ق م	-الحجري القديم -الحجري الوسيط -الحجري الأعلى	قبل اكتشاف الكتابة	حضارات حجرية/استخدام الحجر كوسيلة
التاريخ	من +3000سنة ق م إلى القرن 5م	العصر القديم	بداية الكتابة/فجر التاريخ إلى سقوط روما	العصر الكلاسيكي وعصر ظهور الحضارات الكبرى
	من ق 5 م إلى 1492م	العصر الوسيط	من سقوط روما إلى سقوط غرناطة	القرون المظلمة في أوربا
	1492-1945	العصر الحديث	ق 16 م إلى الحرب العالمية الثانية	-الاكتشافات الجغرافية -الثورة الصناعية -الرأسمالية -الاشتراكية -الحرب العالمية
	1945-2001	المعاصر	من الحرب العالمية الثانية إلى يومنا	-الحرب الباردة -السلاح النووي -التلفزيون -غزو الفضاء -الإنترنت -العولمة

1-التقسيم الأوربي هذا هو الذي فرضته أوربا على لاسيما الذي رزخ تحت نير استعمارها، ومازالت أغلب المناهج في أغلب جامعات الدول التي كانت مستعمرة تسير وفق هذا المنهج، ومنه الجامعات العربية.

الاستنتاجات:

إن قراءة هذا الجدول قراءة متأنية تمكن الباحث والقارئ في هذا المجال من تكوين رؤية حقيقية عن مسار تحقيب التاريخ عند الأوربيين وتطوره، وطبيعة العالمية ومفهومها عندهم، ومن ثم الوقوف على الاستنتاجات الآتية:

أولا ـــ إن تطور التاريخ عند الأوربيين مبني على أساس العرق الآري الأوربي

ثانيا ـــ التحقيب الأوربي يبلور نظرية المركزية والهوامش في الحضارة

ثالثا ـــ الأسس المعتمدة في هذا التحقيب، المكتشفات الأثرية، وتطور النظم السياسية والاقتصادية.

رابعا ـــ إن العصور الوسطى المظلمة عند الأوربيين هي نفسه عصور الازدهار الحضاري العربي الإسلامي.

5 ـــ اعتبار الحضارات السابقة ناقصة غير مكتملة وذلك لأن الجوانب الروحية فيها كانت غير واضحة، كما لم تنفصل فيها العلوم عن بعضها، ويظهر التخصص الدقيق الذي يمكن من الاكتشاف والابتكار والتراكم الحضاري المتمثل في الأفكار والمنتجات مثل ما حدث منذ بداية الحضارة العربية الإسلامية وحتى اليوم.

وفي نهاية القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين يتحول في هذا السياق النسقي تحقيب التاريخ إلى عولمة بالمفهوم الأمريكي، وتصورات مسار تطور العالم جاعلا ـــ أي التحقيب ـــ روافده تلتقي عند هذه الرؤية لتشكل مجرى واحدا. والسؤال هل سيكون في الإمكان فرض هيمنته على شعوب العالم ؟ وهل سيدوم ؟ وإلى متى ؟ انطلاقا من "وتلك الأيام نداولها بين الناس"[1] ؛ ولفهم نظرة الأمريكان إلى المسار النسقي للتاريخ وحقبه أبين ذلك في الجدول الأتي:

1- سورة آل عمران،140.

تحقيب التاريخ عند الأمريكان في ظل العولمة[1]

التحقيب	العصور	الزمن	المناطق	الخصائص	الملاحظة
ما قبل التاريخ	عصر المجتمعات المركبة	قبل 3500 ق م		-استئناس الخيول -صنع السفن -تمهيد لعصر م.م.أ	
التاريخ	عصر المجتمعات المركبة المتأخرة	3500ق م إلى 2000 ق م	-بلاد الرافدين -مصر -الهند -الصين	-تقنيات دعم التفاعل الثقافي -اكتشاف الزراعة -الاستقرار	انطلاق التبادل التجاري المحد
	عصر المدنيات القديمة	2000ق م إلى 500 ق م	-الإستبس -أوربا -الأناضول -إفريقيا	استخدام العجلة الحديد الأبجدية التجارة الطويلة	عدد السكان يقدر بـــ100 مليون في العالم
	عصر المدنيات الكلاسيكي	500 ق م إلى 500 م	-الصين-أسرة هان -فارس والهند= الأخمينيون -الإمبراطورية الرومانية في المتوسط	-تنظيم الدولة الواسعة -تحسن المواصلات -الطرق والجسور -الإشراف الإداري -القوة العسكرية -الجمال والتقاليد -الطرق التجارية -تنقل الجراثيم -تجارة المسافات الطويلة	
				-التوسع -الاصطدام -التوسع التجاري -طرق الحرير -التجارة البحرية -المسافات الطويلة	
	عصر ما بعد الكلاسيكي	500م إلى 1000م	-إمبراطورية تانج في الصين -الخلافة العباسية في جنوب شرق آسيا -بيزنطة في حوض المتو	-التفاعل المباشر -الهجرة -التوسع الإمبراطوري -تجارة المسافات الطويلة	-التفاعل الثقا -الاستقرار السياسي -الحوافز الاقتصادية
	عصر الإمبراطوريات الرعوية	1500 م حتى اليوم	العالم		-تبادل ثقافي وبيولوجي -الكثافة السكانية -النظم -طبيعة التفاعل الثقافي -الثقافة المتد

1- للمزيد الإيضاح انظر، جيري هـــ بنتلي أستاذ التاريخ بجامعة هاواي، ورئيس تحريـــر صحيفـــة journal of werld history، تحقيب تاريخ العالم (دراسة)، ترجمة بدر الرفاعي، مجلة "الثقافة العالميـــة "، ملف حول العولمة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ـــ بدولة الكويت، العدد، 85، ص،158.

الاستنتاجات:

لقد أصبح في الإمكان إجراء مقارنة من خلال هذه النماذج الثلاث لأكبر المحطات الحضارية منذ القرن السابع الميلادي وحتى اليوم، وهذا لا يعني أن هذه هي المحطات الوحيدة فهناك محطات أخرى، ونظريات منها على سبيل المثال النظرية المادية أو النظرية الشيوعية للتاريخ، والمتمعن في مضمون الجدول البياني يمكنه أن يصل إلى عدة استنتاجات منها الأتي:

1 ـــ التبادل والتفاعل الثقافي هو الأساس في هذا التحقيب

2 ـــ إن هذا التحقيب للتاريخ مبني على أساس التطورات الداخلية في المجتمعات المفردة؛ وهي نظرة غربية أمريكية في صياغة خبرات الشعوب.

3 ـــ التفاعلات التاريخية والثقافية المتبادلة لها الدور الأكبر عبر الحقب التاريخية، ويتجلى هذا النوع من التبادل في الحياة، والثروات، وفي خطوط حدود المجتمعات والأقاليم الثقافية

4 ـــ كما اعتمد التقسيم البعد المسيحي في التاريخ الأوربي والأمريكي.

5 ـــ ولهذا التقسيم قواسم مشتركة مع التقسيم الأوربي يخص حقبة ما قبل التاريخ، وبداية التاريخ.

6 ـــ اعتمد هذا التقسيم على ما أحدثته الهجرات الكبيرة من تغييرات في الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

7 ـــ كما حاول التقسيم أن يساير التطور الطبيعي للحياة على الكرة الأرضية منها الحملات التي رافقت توسع تجارة المسافات الطويلة، واستئناس الخيول وما انجر عنه من تقنيات النقل، والذي كان أمرا حاسما في قيام الدول والحفاظ عليها، وقد تطورت المواصلات منذ هذا العهد حيث يمكن اعتبرت إحدى العوامل التي أسهمت في التفاعل الثقافي للمجتمعات، وإقامة الدول، ووحدة الكون (التوحيد) عند المسلمين فجعلت من الدعوة ونشر مبادئ الإسلام أساسا لذلك.

8 ــ كما يبدو أن البشرية قبل القرن 35 ق م عدها هذا التقسيم في زمام المجتمعات البدائية[1] التي مهدت لظهور المجتمعات المثقفة.

9 ــ لا يعير التحقيب اهتماما لاكتشاف الكتابة بل يركز على التفاعل والتبادل الثقافي والموارد الاقتصادية، باعتبار أن الرسوم التعليمية التي ظهرت قبل الكتابة بآلاف السنين تعتبر كتابة هي الأخرى، وهنا يلتقي هذا التقسيم بالنظرية الإسلامية المستمدة من القرآن التي ترى أن الكتابة بدأت مع آدم عليه السلام: "وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[2].

10 ــ لقد تطور المواصلات إلى أن وصلت إلى الأقمار الصناعية، وهو الأمر الذي أعطى للعالم المتقدم وعلى رأسه أمريكا فرصة محاولة فرض هيمنتها الثقافية على العالم، ومن ثم جعلها وسيلة لعولمة العالم أو قل قولبته، وفق النموذج الأمريكي[3].

والخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذه الدراسة أن الوعي بالتاريخ في هذا العصر أصبح أكثر من ضرورة، ولابد علينا معشر الباحثين في التاريخ، وفي ظل هذا التطور السريع والمسارع أن نعيد النظر في مناهجنا التاريخية عموما، والمستعملة في التدريس خصوصا انطلاقا من الواقع المعيش من جهة؛ وبالرجوع إلى تراثنا الفكري في الماضي والحاضر من جهة أخرى.

1-توينبي أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية = للمزيد من التوضيح يمكن الرجوح إلى الفصل القيم لتوينبي في كتابه هذا 21/1 حول الحضارات والمجتمعات.

2- سورة البقرة، 31.

3- دافيد روثكوبث، في مديح الأمبريالية الثقافية. ترجمة أحمد خضر، مجلة "الثقافة العالمية"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ــ بدولة الكويت، م،28، سنة 1997، ص، 28.